

طفولة قلب منى الشعلان



• حينما أقلب تلك الصفحات الجميلة من صفحات طفولتي أراها أيامًا جميلة ضاحكة ومشرفة ؛ ممزوجة ببساتين الحب الصادق وبراعة الروح النقية حينها أتذكر أمي الغالية وأبي الحبيب وجدتي رحمها الله تعالى وإخوتي.

كانت أيامًا جميلة ببساطتها وعفويتها.

كنت أتذكر جدتي رحمها الله وهي تقوم بالاهتمام بماشيتها وكنت أحب رفقتها ومساعدتها.
كان وقتي حافلًا منذ الصباح الباكر.

فقد كنت أصحي مبكرًا وأذهب لمساعدة جدتي ثم أعود برفقتها لتناول الإفطار مع والديّ وأخواتي وبعدها أخرج مع إخوتي للعب في مزرعة الوالد حفظه الله .

فعلًا أحن إلى تلك الطفولة الجميلة البريئة
أحن إلى الزمن الجميل وإلى الصفاء والنقاء والبراءة .

لله ما أحلى الطفولة إنَّها حلم الحياة
عهد كمعسول الرؤى ما بين أجنحة السَّبات
ترنو إلى الدُّنيا وما فيها بعين باسمٍ
وتسير في عدوات واديها بعين حاملة .

كنت في صغري أحسب الأيام والسنين لأصبح كبيرة
وعندما كبرت تمنيت لو أبقى طفلة عمري طفلة صغيرة لأعيش في عالم لا يوجد فيه حقد ولا كره .

ولله در الإمام السيوطي رحمه الله تعالى حين ذكر في كتابه (حسن المحاضرة) (١ / ٥٢١) مانصه :
” خمس خصال في الأطفال لو كانت في الكبار مع ربهم لكانوا أولياء:
لايهتمون بالرزق ، ولا يشكون من خالفهم إذا مرضوا ، ويأكلون الطعام مجتمعين ، وإذا خافوا جرت عيونهم بالدموع ، وإذا تخاصموا تسارعوا إلى الصلح ” .
أشتاق لتلك الأيام !

نعم أشتاق إليها وإلى تلك الأيام التي كانت مشاكلتي تحل بقطعة حلوى.
أشتاق لطفولتي عندما أصبحوا اغدوا وضحكات الكون تملأ قلبي .

ليت تلك الأيام تعود ببرائتها وأيامها السعيدة
ليتها تعود بدون قيود ولا هموم .
وصدق الشاعر حينما قال :

وليتنا في سنين اللهو أولها
نحن الصغار ولكن ذلك لم يَدُم

عهد الطفولة مرَّ الوقت في عجلٍ
كأنما كان أطياف من الحلم

يا رب حُسن حياة في معيشتنا
وحُسن ذكرٍ وأيضًا حُسن مُختتم

كانت فترة الطفولة كقطعة السكاكر الجميلة ذات الطعم المميز الذي لا ينسى لذلك سوف نظل نتذكرها دومًا ، وسوف تبقى في ذاكرتنا
نعود إليها من حين إلى آخر ، ومهما مر من العمر سنين وأيام سنبقى نحن لطفولتنا .

الطفولة عبارة عن أيامًا جميلة مضت بلا عودة طوت معها ذكرياتنا وحنينًا لأيام لن تأتي .

وفي ختام هذه المقالة أذكر هذه الأبيات الرائعة والتي تترجم سوانح “ذكريات الطفولة” بكل ماتحمله من معاني جميلة ومواقف طريفة:

أرْجِعْ زَمَانَ الْأُمِّسِ مِنْ صَفْحَاتِي
مَا أَجْمَلَ الْأَيَّامَ بَعْدَ قَوَاتِ

ذُكِرِي بِعُودٍ إِلَى الْفُؤَادِ حَيْنَهَا
دَوْمًا إِذَا دَاقَ الْفُؤَادُ أَسَاتِي

دَعْنِي أُمَّتُجْ بِالتَّدْكَرِ حَطْرَتِي
وَعَلَى الطَّلُولِ أُمَّتُجِ النَّظْرَاتِ

مَا زِلْتُ أَذْكَرُ هَاهُنَا خَطَوَاتِنَا
وَعَلَى الرِّمَالِ وَتَقْدُفِ الحَصَوَاتِ

زَمَنُ تَوَلَّى مِنْ رَبِيعِ حَيَاتِنَا
فِي ظِلِّهِ مَا أَجْمَلِ الأَوْقَاتِ

لَهُوَ وَنَمْرُجُ وَالسَّعَادَةُ عِنْدَنَا
مَا أَصْدَقَ البِسْعَاتِ وَالصَّدَقَاتِ

إِنِّي لِأَذْكَرُ تِلْكَ أَحْلَى لِحْظَةٍ
زَمَنُ الطُّقُولَةِ ذَاكَ زَهْرُ حَيَاتِي

أَتَذْكَرُ الأَصْحَابَ حِينَ يَصُفُّنَا
لَعِبَتْ عَلَى سَاحِجِ مِنَ السَّاحَاتِ

نَجْرِي وَنَجْرِي لَيْسَ نَدْرِي أَنَّهَا
تَجْرِي بِنَا الأَعْقَارُ فِي السَّاعَاتِ

وَتَلَاعِبِ المَطَرِ الحَفِيفِ إِذَا أَتَى
وَعَلَى اليَدَيْنِ تَسَاقُطُ القَطْرَاتِ

وَنُرْدُّ الأِنْسَادَ صَوْتًا وَاحِدًا
وَنَسْمَعُ الصَّيْحَاتِ وَالصَّرْحَاتِ

نَبْكِي وَنُصْحِكَ تِلْكَ حَالُ طُفُولَةٍ
وَنُصْدَقِ الأَفْعَالِ وَالكَلِمَاتِ

مَا قَاوَبَانَا فِي الصَّبَاحِ نَشِيدُنَا
تَتَفَتَّحُ الأَمْوَاهُ كَالْوَرْدَاتِ

أُمِّي الحَبِيبَةُ لَسْتُ أَنَسَى عَطْفَهَا
نَبْعُ الحَنَانِ كَدَجَلِيَّةٍ وَقُرَاتِ

أَسْعَى إِلَيْهَا لَهْمَةً فَتَضْمُنِي
وَبِضْرَهَا أَتَلَقَسُ الحَيْرَاتِ

وَكَذَا أَبِي أَمْضِي إِلَيْهِ إِذَا أَتَى
يُضْغِي إِلَيَّ لِمَطْلَبِي وَسَكَاتِي

إِبْنَتِي الحَبِيبَةُ أَبِي الحَنُونِ يَقُولُهَا
فَتَرِنُ فِي أَدْنِي كَاللَّعْمَاتِ

يَارَبِّ فَاجْعَلْنِي أَنَالَ رِضَاهَا
وَرِضَاكَ فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ مَقَاتِ

تِلْكَ السَّعَادَةُ لَسْتُ أَطْلُبُ غَيْرَهَا
إِلَّا خُلُودًا فِي رَبَا الجَنَّاتِ

تِلْكَ الطُّقُولَةُ ذَاكَ نَبْعُ رَائِقِي
لَا تَعْرِفُ الأَحْزَانَ وَالكَدْرَاتِ

وَسِرْحَتِي فِي حُلْمِ تَبَاعَدِ نَيْلِهِ
حَتَّى كَأَنِّي فِي عَمِيقِ سُبَاتِ

وَمَضَى الرَّقْمَانُ وَنَحَلُ نَجْهَلُ سَيْرُهُ
حَتَّى قَضَى لِحِقَاعِنَا بِسُنَاتِ

وَأَقْفَتْ يَوْمًا عَنْ رَمَاقِي بَاجِنًا
أَيْنَ الَّذِينَ بِوَجْهِهِمْ بِسَمَاتِي؟

أَيْنَ الصَّحَابِ؟ وَأَيْنَ جَمْعُ أَحِبَّتِي؟
وَمَسَيْتُ فِي تَيْبِهِ مِنَ الْخَطَوَاتِ

وَمَسَيْتُ فِي ذُرْبِي أُرْدُدُ قَضِي
وَأَحْسُ فِي التُّذْكَارِ بِالنَّسَمَاتِ

أَجْعَلَ الْأَيَّامَ تَفْضِي عَفْلَهُ
رَمَنْ الصَّقَاءِ يَمُرُّ فِي عَجَلَاتِ

وَكَبُرْتُ لِكَلِّي صَعْرَتُ لَانِّي
مَا زَالَ قَلْبِي صَادِقَ الْأَبْصَاتِ

وَيَدُومُ قَلْبِي لِلْوَفَاءِ وَنَيْضُهُ
وَلَسَوْفَ تَسْهَدُ بِالْوَفَا أُبْيَاتِي

الثلاثاء ١٥ ربيع الأول ١٤٤٤